

شعر



بيان الفتى الفلسطيني

حسن فتح الباب

دونها ، أيهذا المعلم مازالت في الناس نبع المسرة
 بشرى الخلاص وللروح نجم السلام ، لماذا يُغشِّي
 يهوذا اسمائى يابن السماء بأجنحة من رماد الأساطير
 يقتات مما تعاف الضواري وتلفظ كل البرايا خبائثه ،
 كأن سليمان لم يك ملكا نقياً ، كأن شياطينهم لعنة
 سلطتها السماء علينا ، أنا - من أنا ؟ - نطفة للخليل
 استكنت بأحشاء (سارة) حتى تلوذ القوافل بالنبع ،
 لانبع إلا الذى رقرقه ظلالى لتهتز صفر الفيافي ،
 تفجر تينا ، وأغصان زيتونها وارفات ، فكيف يعيث
 ابن آوى فسادا بكرمى ، رياح سموم بدرى ،
 وأرمى بداء ابن آوى «لم أكن من جناتها علم الله ،
 ولكن بحرها اليوم صالى»

«شارد أنت في الأرض حتى أعود كما أنت شردتني
 في هجير القفار»
 ٢٢ فيا قمر (المجدلية) يابن البتول لماذا أقام (يهوذا)
 الرجيم بيتى ولما تعد؟ لماذا يبرئه تابعوك ومازال
 رأسك هذا الوديع يكلله الشوك فوق الصليب؟
 ٢١ ومريم تبكى ، طريق العذابات يبكى لخطوى الملمى
 ٩ وشحبي الشريد ، ولست المسيح ، ولكنى ابن راعية
 ٢ ترتضى للصغار القديد طعاما ، وتبقى على عشاها
 ٣ فوق حد النضال .
 ٤ أنا من علمت وإن أنكرونى ، على أرض
 ٥ (كنعان) ، مازال كنعان يحى ويسلم أنفاسه طائعا

تسترد نفسها في أثناء اتجاهها نحو المستقبل، وتعود من جديد إلى الأمكانية الحققة لوجودها^{٢١}. وهذا العود المستمر للماضي لا ينفصل عن حركة الذات نحو المستقبل^{٢٢}. كذلك لا تلتصق الذات الأصلية من المستقبل إلى الماضي فقط بل لا بد من أن تستجمع ذاتها في الحاضر بالربط بين مستقبلها وماضيها، وهنا تكمن أصالة هيدجر في قوله «بالتحام آتات الزمان، وتوحيده بين الكينونة البشرية وطابع الزمانية». ثم ربطه «الوجود من أجل الموت» و«بنتاهي الزمان»، ورفضه كل إحالة للأبدية. والواقع أن التناهي في نظر هيدجر هو الشرط الضروري لما يصفه «التعالى». فالوجود البشري يعلو دائما ذاته، ولكن التعالى الذي يقصده هيدجر هنا ليس تعاليا رأسيًا يهدف إلى حقيقة أعلى، بل هو تعالى أفقى على طريقة نيتشه، إذ إننا لا نخرج من ذاتنا كي نتقل إلى الله، وإنما نحن في حالة اتجاه مستمر نحو المستقبل. ولما كان التعالى عند هيدجر يعبر عن زمانية الموجود البشري، وحركته المستمرة نحو تحقيق ذاته، لذلك فليس غريبًا أن نجد هيدجر يرفض فكرة الماهية الثابتة وهذا المعنى فإن الوجود عند هيدجر يصبح مرادفاً لمعنى آخر هو «التعالى»، أو «التجاوز»^{٢٣}. فالوجود الإنساني من هذه الناحية هو حالة مستمرة من التخط أو التجاوز، لكنه تجاوز وتخط إلى الوجود نفسه وليس إلى شيء آخر. وهذا لا يمكن أن يتم إلا في الزمان، فالزمان بهذا المعنى موظف من أجل القضاء على غربة الذات، ومن أجل خلق الذات الأصلية^{٢٤}. فالزمان هو أفق الوجود الذى تحقق فيه الذات إمكانياتها. ولكن يجب ألا نفهم الزمان — كما أشرنا — على أنه الماضى فقط وإلا ضللتنا الطريق، وظللتنا في حالة اغتراب، لأننا بالماضى إنما نسل حركة الإنسان ونعوق إمكانياته اللامحدودة للخروج إلى الوجود، ولتكشف حقيقة هذا الوجود — وإذا ضللتنا في الحاضر سقطنا في أسر الحشد المجهول وفي هذا قضاء على الأمكانية

الأصلية للإنسان، ومن ثم فإن حقيقة الزمان تكمن في المستقبل ولكنه المستقبل الذى يستوعب الماضى لغزو الحاضر...، وإلا كان هذا المستقبل ضرباً من ضرب الوهم والخيال^{٢٥}.

ولعل هذه النقطة الأخيرة، أعني طرح هيدجر لقضية غربة الإنسان في علاقتها بالزمن، إنما تكشف بصورة صادقة عن البعد الإنساني الكامن في فلسفة هيدجر، فالإنسان مشروع لم يتحقق بعد، وإمكانية لم تتم بعد، والإنسان دائماً مغموم بمستقبله، ويتحقق إمكاناته، فالهم جزء أساسى من نسج الإنسان. وأحد هموم الإنسان اليوم إنه أصبح بلا مأوى، أو كما يقول هيدجر في (رسالة في النزعة الإنسانية): «أن اللامأوى أصبح مصير العالم»^{٢٥}. ومهمة الفلسفة اليوم هي تعرية هذه الحقيقة. إلا وهي أن الإنسان لم يعد في بيته، وأن الخروج من حالة الاغتراب لن يتم إلا بعودة الإنسان إلى بيته وأن حرية الإنسان لن تتحقق إلا من خلال قدرة على صنع هذا البيت الإنساني.. أو الفردوس الأرضى المفقود

مراجع البحث:

- (1) The New Encyclopedia Britannica, vol 1, Article: Alienation, Helen Hemingway Benton, Publisher, Chicago, London, Toronto, 1974.
- (2) Schacht (R): Alienation, George Allen, Unwin Ltd, London 1972, P 200
- (3) I bid: PP 200 - 201
- (4) I bid; P 20 I
- (5) I bid: P 20 I
- (٦) مجاهد عبد المنعم مجاهد: هيدجر راعى الوجود، دار الثقافة للتوزيع

والنشر، القاهرة. ١٩٨٣. ص ١٤

١٥ —

(٧) المرجع السابق: ص ١٥
(8) Schocht: Alienation, P 201

(٩) د. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، الجزء الأول، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨، ص ص ٤٤١ — ٤٤٢

(١٠) د عبد الرحمن بدوى: الزمن في المذهب الوجودى عند مارتين هيدجر، مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد الثامن. العدد الثاني، سبتمبر ١٩٧٧، ص ١٨٩

(١١) هيدجر (مارتن): نداء الحقيقة، ترجمة ودراسة وتقديم د. عبد الغفارمكاوى، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٠٥
(١٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(١٣) د. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة ص ص ٤٣٦ — ٤٣٧

(١٤) المرجع السابق: ص ٤٣٧
(١٥) اقتبس مجاهد عبد المنعم مجاهد في: هيدجر راعى الوجود، ص ١١٣
(16) Schocht: Alienation, P 202

(١٧) د. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٤٣٨.
(18) Schocht: Alienation, P 202

(١٩) د. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٤٤٢.
(٢٠) هيدجر: نداء الحقيقة، ص ١١١

(٢١) د. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٤٤٢.
(٢٢) المرجع السابق: ص ص ٤٤٣ — ٤٤٤

(٢٣) مجاهد عبد المنعم مجاهد: هيدجر راعى الوجود، ص ص ٤٩ — ٥١
(٢٤) سربن السابق: ص ٥٢
(٢٥) مقتبس في المرجع السابق، ص ١٣

٥١ • القاهرة • العدد ١٠٥ • ٢٢ ذو القعدة ١٤١٠ • ١٥ يونية ١٩٩٠ م •